

فرويد ونظرية التحليل النفسي

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

—>>><<<—

مذهب فرويد أو فلسفته من المذاهب التي لتيت رواجاً عظيماً في العصر الحاضر ، وأحدثت انقلاباً في علم النفس ، وانقسم العلماء بالنسبة لآرائه إلى فريقين : معسكر الأنصار والمحبين والتلاميذ ، ومعسكر المنكرين والناقدين . ومن تلامذته الذين خرجوا عليه وكونوا مذاهب جديدة في تفسير الحياة الإنسانية « أدلر وبوج » .

ويرى فرويد — كما يرى غيره من علماء النفس — إلى تفسير الأعمال الصادرة عن الإنسان . فليس هناك عمل نفسي مهم ما خيل إلينا أنه نافه بخلاف معنى . فإذا بدا لنا أحد هذه الأعمال غريباً ، فواجبنا أن نسمي إلى كشف العلة في حدوثه ، والفرض الذي يرى إليه ، والزعة التي دفعت إليه

ونضرب مثلاً لما قدمنا يوضح ما يذهب إليه فرويد قبل أن ندخل في صميم نظريته : دخلت خطيبة إلى الحمام وخلعت خاتم الخطبة ونسيت أن تلبسه ثانية ، ثم أخذت تبحث عنه ولم تهتد إلى مكانه . نسيان الخاتم سلوك سدر عن الفتاة قد يفسره البعض أنه راجع إلى الشرود أو الانشغال أو الصدفة . وكثير من الناس لا يجدون تعليلاً لهذا العمل . أما فرويد فيجعل السبب في ذلك رغبة الفتاة عن خطيبها وعدم رضاها عن الزواج ، فتحررها هذه الرغبة الباطنة التي لا تشر بها ، لأنها موجودة في اللاشعور إلى نسيان الخاتم ، وهو رمز الزواج .

هذه النظرة إلى الأعمال الإنسانية علمية وديناميكية :

فهي علمية لأن فرويد يحاول ربط المظاهر بالأسباب كما يجري في عالم الطبيعة . فهي نظرية جبرية Determinist . وليس هذا مما يعاب على فرويد ، بل على العكس مما يمدح به محاولته هذا التفسير الجبري الذي بدونه لا يستقيم العلم الصحيح ، بل يخرج علم النفس من ميدان العلوم .

وهي نظرية ديناميكية ، لأنه يجعل للنفس الإنسانية قوى متحركة يصدر عنها السلوك . وفي ذلك يقول في كتابه « مدخل إلى التحليل النفسي » ما يأتي :

« ليس غرضنا أن ننسب وترتب المظاهر حسب ، بل نريد أيضاً أن نراها علامات على حركة القوى العاملة في النفس ، كأنها مظاهر ميول لها غرض محدود ، سواء أ كانت هذه الميول تعمل في اتجاه واحد أم في اتجاهات متعارضة . إننا نسمي وراء تكوين نظرة ديناميكية Conception dynamique للمظاهر النفسية » وقد أوردت هذا النص لعله ، ذلك أن أحد الباحثين في علم النفس ، وهو الدكتور يوسف مراد الدرس بكلية الآداب قال في كتابه « شفاء النفس » ص ٩٥ ما يأتي :

« تمتاز فلسفة فرويد بكونها ميكانيكية جبرية ، فإنها تنظر إلى الإنسان كأنه آلة عديمة الحرية خاضعة كل الخضوع لقوى خفية لا يمكن التغلب عليها إلا بالحيلة » . وقال في مكان آخر : « أما فلسفة أدلر ، فهي على نقيض فلسفة فرويد ، تمتاز بكونها غاية اختيارية تفاؤلية . ونعم أن المذهب الثاني على نقيض المذهب الميكانيكي » ص ٩٧ - ٩٨ . فهو يجعل مذهب فرويد ميكانيكياً ويقول الطيبان ريحي وهمنار في كتابهما التحليل النفسي ص ١٥ : « إن نظرية فرويد تمثل الحياة النفسية في نظرة موضوعية على طريقة النظر إلى الوقائع العلمية ، كما تمثلها مذهباً (System) يتطور باستمرار ، يحتوي على قوى أولية متعارضة أو مكونة أو منتجة . ونستطيع تطبيق اصطلاح علم النفس الديناميكي على هذه النظرة الديناميكية للعقل »

وقد أخطأ الدكتور يوسف مراد خطأ آخر ص ٩٧ : « وأخيراً يجب أن نشير إلى الشجاعة التي واجه بها فرويد المشكلة الجنسية وإلى الدقة الفائقة التي حلل بها مختلف مظاهر الوظيفة الجنسية ، غير أنه أسرف ، وخاصة تلامذته ، في إرجاع كل ظاهرة سلوكية إلى الفريزة الجنسية »

وليس الأمر كذلك عند فرويد ، لأنه لا يرجع كل شيء إلى الفريزة الجنسية ، بل بعض تلامذته ، وأولئك الذين كتبوا عنه كتابات شعبية تحمل معنى التعميم والتبسيط . وقد دافع فرويد عن نفسه ضد الذين يخطئون فهمه فقال : « لقد كررت وأعلنت بكل وضوح ما استظمت إلى ذلك سيلاً ، بمناسبة الأمراض النفسية الانتقالية ، أنني أميز تماماً بين الفريزة الجنسية وبين الفريزة النفسية (Tchtriebe) ، وأن اللبى Libida ، بمعنى نشاط الفريزة الجنسية . إنه يوجب — لا أنا — الذي

سلوكه الحاضر ، فقد بحث في الحياة الجنسية للفرد منذ ولادته ، حتى دور الرأفة ، وافترض أن الرضيع يشعر بلذة جنسية من امتصاص ثدي أمه ومن إخراج الفضلات ومن اللامسة مما لا يتسع تفصيله الآن

وإنما تذكر أهم الاعتراضات العلمية التي توجه إلى نظرية فرويد لتكون ماثلة بالبال

وأولها أن نسبة لذة جنسية إلى الرضيع والصغير فيها شيء كثير من الإسراف والفلو بل الجرأة . ثم إن فرويد يقيم بناء نظريته على دراسة الرضخ والشواذ ، ويتخذ من هؤلاء سبيلا إلى أحكام عامة يصدرها على سواد الناس وهم الأغلبية ، فيحكم بالخاص على العام ، وبالشاذ على السليم . كما أنه لا معنى أن تفسر شخصية الإنسان في ضوء التريزة الجنسية ، ولو عكسنا لأصبنا الحق ، فتصبح التريزة الجنسية وما يتبعها من مظاهر إحدى وظائف الفرد التي تدخل في حسابنا ، وليست كل وظائفه على رأي المغالين في مذهب فرويد .

أحمد فؤاد الأهواني

بادر باقتناء نسختك

قبل نفاذها

من كتاب :

دفاع عن البدو

للأستاذ

احمد الزيات

يطلب من دار « الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً عدا البريد

يجعل من اللبید مساوياً للدافع الفريزي لجميع القوى النفسية . وقال فرويد في موضع آخر : « لم يغفل التحليل النفسي مطلقاً وجود ميول غير جنسية ، وقد أقام التحليل النفسي بناءه على مبدأ الفصل التام الواضح بين الميول الجنسية والميول المتصلة بالذات أو الأنا Le moi ، وقد أثبت التحليل دون انتظار الاعتراضات الموجهة إليه ، أن الأمراض النفسية ليست نتيجة التريزة الجنسية ، بل نتيجة الصراع بين الأنا والتريزة الجنسية Conflit entre Le moi et la sexualité » .

وهنا نجد أن الدكتور يوسف مراد يقع في خطأ ثالث إذ يقول : « إذ ليس هذا رأى فرويد كما رأينا ، لأن المرض قد يقع نتيجة الصراع بين التريزة الجنسية والأنا في حالة الشعور ، وقد يكون الصراع في اللاشعور فقط . فالمدن الذي يشعر بعجزه عن مباشرة المرأة يضطرب نفسانياً لشعوره بالضعف » .

والغريب أن الدكتور يوسف مراد أنصف نظرية فرويد ص ٨٦ بقوله : « والواقع أن المشكلة النظرية التي أثارها التمارض بين فرويد وأدلر لا تزال حتى الآن متعلقة . بل يبدو أن النزاع بين الفريقين يزداد عنفاً ويتجاوز حدود المناقشة العلمية الهادئة إلى أساليب التهمك والتحقير » . ثم عاد وحقر نظريته بما يخرج عن الأسلوب العلمي

وأذكر الآن حالة مريض عالجته على طريقة فرويد لأثبت صحة نظريته . جاءني شاب يشكو ضيقاً وقلقاً وتبرماً وانصرافاً عن الاستذكار ، وتبلغ سنه اثنين وعشرين عاماً ، يعيش مع أخيه الأكبر ، يتناول من والده مرتباً لمصروفه الشخصي أربعة جنيهات في الشهر . سألته عن أحواله الجنسية فقال : إنه يتصل بالماهرات ، ولكنه لا يستطيع الزواج نظراً للظروف الاجتماعية إذ لا يزال طالباً ، ولا يستطيع الصبر عن المرأة . وبالمبحث انضح أن ضمير يؤنبه على هذه الصلة غير الشريفة ، فهناك صراع بين التريزة الجنسية وبين نفسه الخلقية ، وكلاهما كان في مستوى الشعور ، وحلت المشكلة بتعليمه التسامح بالتريزة الجنسية نحو الموسيقى التي برع فيها .

وحيث كان فرويد يجعل للتريزة الجنسية أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، ويجعل لتجاربه الماضية المسجلة في اللاشعور أثراً في